بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

جاء العرب إلى مصر فاتحين ، ثم وفدوا عليها مقيمين ، فعلا شأنهم بها ، وانتشر دينهم ولغتهم فيها ؛ وعرف أدبهم طريقه إليها . فجاءها زائراً ، أو نشأ فيها وليداً وحاول أن ينمو ويحيا حياة طيبة ، حتى يضارع غيره من الآداب العربية فى البلاد الأخرى .

وبقيت البلاد تابعة للحجاز أو الشام أو العراق بعد الفتح ثلاث مئين وأربعين من السنين ، حتى جاءها الفاطميون سنة ٣٥٨ هـ فأصبح استقلالها تاما ، وسيادتها فى شئونها كاملة .

وكان أدبها قبل الطولونيين ضعيفاً ، والعناية به قليلة ، ورجاله مغمورين ، إلا فى فترات متباعده كان يزدهر فيها بنجوم تلمع فى آفاقه من الشرق ، مثل نصيب وابن قيس الرقيات وأبى نواس وأبى تمام والمتنبى .

وكان هذا الأدب الزائر ، فى جملته ، خاصاً بالمدح والهجاء . وما تأثر شعراؤه بالبلاد إلا قليلا . ولكنه على الرغم من ذلك صار جزءاً من أدبها ، لأنه نشأ فيها أو ارتحل به منشئوه إليها ، وقيل من أجلها ، فلا يذكره ذاكر إلا متصلا بها ، ولا يتحدث عنه متحدث إلا نسبه إليها باعتبار الباعث عليه ؛ وإن عد رجاله فى أدباء بلادهم الأولى : فنصيب شاعر حجازى لا مصرى ، وأبو نواس عراقى من بغداد جاء إلى مصر زائراً ، وكثير غيرهما كذلك . ولكنه لا يمكن

أن نغفل رحلتهم إلى مصر وأثرها فى أدبهم .

أما الأدب الذى أنشأه بعض الأدباء من أهل البلاد والمقيمين فيها فقليل ، وكثير منه ضعيف .

ولكنه استطاع ، على الرغم من هذا الضعف ، أن يثبت وجوده واستقلاله فى أكثر من ناحية ، وعلى الأخص ناحية الموضوعات التى طرقها ، وأرى من مظاهر هذا الاستقلال أنه تبع تاريخ البلاد فكان سجلا لكثير من حوادثها ، وكانت فيه صور صادقة لأحوالها وعاداتها .

وإذا قارناه بأدب الشرق والغرب تخلف وراءها كثيراً إلى منتصف القرن الثالث ؛ فإن أدب الحجاز والشام والعراق كان أقوى منه ، وأعلى منزلة . وكان أدب الأندلس أرق أسلوبا وأوضح بياناً ، ورجاله أكثر عدداً . أما مصر التى كانت ملتقى الشرق والغرب ، وكان من حقها أن تكون واسطة العقد ، فلم تصل إلى منزلة مذكورة فى هذا الزمن .

وأغلب الظن أن وجود الخلافة فى الشرق طول هذا الزمن هيأ لأدبه مكان الصدارة ، وأن استقلال الأندلس (من سنة ١٤١ هـ) ، وقيام خلافة أموية بها تعادى العباسيين سياسياً ، وتنافسهم علمياً وأدبياً ، نهض أيضاً بالأندلس . وقد أتيحت هذه الفرصة لمصر عندما استقل بها ابن طولون ثم الإخشيديون .

هذا الأدب الوطنى الذى نبت فى البلاد قليلا أو هزيلا نما شيئاً فشيئاً حتى استوى على سوقه أدبا مصريا مستقلا تتنوع عوامله الفعالة فى تكوينه ، ويستمد كثيراً من وحيه من البلاد التى نشأ فيها ؛ وإن كان لا ينسى أنه أدب عربى له من قيود اللغة ، وماضى الأدب ، وتقليد الأدباء أو مجاراتهم فى البلاد العربية ، ما يقربه من الآداب العربية الأخرى كأدب الشام والعراق والأندلس . وكان للرحلة بين هذه الأقطار آثارها فى ذلك .

ويجد الباحث فى هذا « الأدب العربى بمصر » مجالا للقول ، وفرصة للحديث منذ أن صحب الفاتحين الأولين .

وقد زاد الاهتمام بهذا الأدب فى كل عصوره ، وانصرفت جهود كثيرة إلى الكتابة فيه وإلقاء المحاضرات عنه ، وإنشاء الكراسى الجامعية من أجله ، وأذكر من الكتب القيمة فى العصر الأول كتاب « أدب مصر الإسلامية » للدكتور محمد كامل حسين ، فقد نفعتنى قراءته . وإن كنت تخيرت طريقا آخر .

وهذه محاولة أتكلم فيها عن هذا الأدب ، فى الزمن الذى خضعت فيه مصر للخلافة الإسلامية فى الشرق .

والله ولى التوفيق .

القاهرة | يونيه سنة ١٩٥١
| رمضان سنة ١٣٧٠

عبد الرزاق حميدة